الاقتباس القرآني في شعر العباس بن الأحنف (ت ١٩٣هـ) - دراسة تحليلية -

م. د. زهرة خضير عباس
جامعة بغداد– كلية التربية/ ابن رشد

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي محمد المصطفى ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين .

أما بعد ...

فإنَّ القرآن الكريم معجزة الإسلام، بحرٌ ، وقف أمامه من تصدى له عاجزاً، إنه الفصاحة والبيان والبلاغة ، أسلوبية لها أثرها العظيم في سحر النفوس، وإذهال العقول، وتنوير القلوب ، وتقويم الألسن.

ولم يكن الشعراء في غفلةٍ عن روعته ، فقد استقوا من هذا المعين الفرات ، ليترأس مصادر ثقافتهم .

وما العباس بن الأحنف إلا واحدٌ من أولئك ، برز في شعره الأثر القرآني ، وكأنه شمسٌ أشرقت عليه إشراقاً استهوى الباحثين ، حتى يلتقطوا له صوراً ، صورة منها أسهمت الباحثة في إعدادها ، وهي تتناول في شعره ظاهرة بلاغية (الاقتباس القرآني) ، ليحمل بحثها عنوان :

(الاقتباس القرآني في شعر العباس بن الأحنف "ت ١٩٣هـ" – دراسة تحليلية)

وعن منهج البحث ، فكان تحليلياً ، تأسس على استقراء النصوص الشعرية المقتبِسة ، ومن ثم تحليلها على وفق مباحث ثلاثة ، يسبقها تمهيد ، تكلمت فيه على مفهوم الاقتباس لغةً واصطلاحاً ، والمباحث هي :

المبحث الأول : أنواع الاقتباس القرآني .

المبحث الثاني : موضوعية الاقتباس القرآني .

المبحث الثالث : الاقتباس والقصص القرآني .

وقد أتبعت هذه المباحث خاتمة أثبت فيها أبرز النتائج ، وقائمة بالمصادر والمراجع التي تضمن للبحث الرصانة العلمية .

الباحثة

التمهيد : مفهوم الاقتباس

الاقتباس لغةً :

الاقتباس : من " (قبس) القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار من ذلك القَبَس: شعلة النار" [١] .

وقد جاء في القاموس المحيط : " القَبَس ، محركةً : شعلة نارٍ تُقتبس من معظم النار، كالمقباس، وقَبَسَ يَقبِس منه ناراً ، واقتبسها : أخذها "[٢] .

ويذكر تاج العروس : " (قَبَسَ يقبِس منه ناراً) من جَدِّ ضَرَبَ ، (واقتَبسها : أخذها)، واقتَبَسَ (العِلْمَ) ومن العِلْم : (استفاده) ، كذلك اقتبسَ منه ناراً . وقال الكسائي: اقتَبستُ منه عِلماً وناراً ، سواء قال : وقَبست أيضاً فيهما " [٣] .

ويورد كذلك : " القابس: طالب النار، ... والمقتبَس : الجذوة من النار" [٤].

الاقتباس اصطلاحاً :

ثمة تعريفات عديدة لمصطلح الاقتباس ، نذكر منها :

ما جاءَ في حسن التوسل إلى صناعة الترسل : " الاقتباس ، أن يضمَّن الكلام شيئاً من القرآن والحديث " [٥] .

ومما قاله النويري (ت ٧٣٢هـ) : " الاقتباس ، هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث " [٦] .

وجاء في شروح التلخيص : " أما الاقتباس .. فهو أن يضمن الكلام سواء كان ذلك الكلام نظماً أو نثراً شيئاً .. من القرآن، أي أن يؤتى بشيء من لفظ القرآن في ضمن الكلام، أو يؤتى بشيء من لفظ الحديث في ضمن الكلام " [٧] .

ويقول ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) : " وفي الاصطلاح هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن " [٨] .

أما علة تسميته ، فكانت " أخذاً من اقتباس نور المصباح من نور القبس، وهو الشهاب، لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية" [٩] .

ومن حصاد التمهيد في أراضي بعض المعاجم اللغوية ، وكتب الأدب والبلاغة، نخلص إلى القول : إنَّ لأقوال اللغة والاصطلاح عملاً مشتركاً في منح الاقتباس هوية تميزه من غيره من ظواهر البلاغة الأخرى .

إنه تضمين شيء من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف، ليضيء بنور علمهما الأديب المضمِّن نصه ، شعراً كان أو نثراً ، وعليه كان عنوان البحث : (الاقتباس القرآني) ، تحديداً بالقرآن الكريم .

المبحث الأول

أنواع الاقتباس

بعدما همّ البحث في مجال النوعية الاقتباسية في نصوص الشاعر ذات المنبع الكريم ، وجد نوعين من الاقتباس ، هما :

١- الاقتباس الإشاري .

٢- الاقتباس المحوَّر .

١- الاقتباس الإشاري :

نمط تندمج فيه بنية الشعر مع بنية القرآن الكريم على سبيل الإيحاء والإشارة إلى حدٍّ قد يتطلب جهداً في فهم بؤرة الالتقاء .

وعن كيفية الإحالة الإشارية ، تخبرنا النماذج التي اختلف موقفها أمام دائرة النص الحقيقي ، فمنها ما ظلّت قريبة منها برفقة حكمتها ، ومنها ما أخذت ترافق الوظيفة السياقية ، لتتوسط في الوقوف قرباً وبعداً .

ولم ينتهج الشاعر طريقةً واحدةً في الإشارة ، فهناك طريقتان :

- الإشارة بالكلمة القرآنية .
- الإشارة بالآية القرآنية .

- الإشارة بالكلمة القرآنية :

يقول العباس : [الطويل]

وصالكم صَرْمٌ وحبكم قِلًى وعطفكم صَدٌّ وسلمكم حَرْبُ
وأنتم بحمد الله فيكم فَظاظةٌ فكلُّ ذَلولٍ في جوانبكم صَعْبُ (١٠)

فكلمة (فظاظة) هنا ، وإن عزلها الشاعر عن تركيبها القرآني، وإن غير صيغتها من الصفة الى المصدر، كادت تكون مؤسس العلاقة بين القرآنية والشعرية، قال تعالى: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ] (١١) .

لقد ربط الله Y نبيه محمد ρ على جأشه ، فما لينهُ لهم إلاّ برحمةٍ منهُ ، حتى أثابهم غمّاً بغم ، وآساهم بالمثابة بعدما عصوا أمره ، وتركوه ، ولو كان جافياً، قاسياً ، لتفرقوا عنه ، ولم يبق منهم حوله أحد [١٢] .

ومن قراءة الآية الكريمة ، وفهم دلالتها يبرز التناقض بين النصين (المُقتَبس ، والمقتبِس) ، فقد أكد الأخير (الفظاظة) ، حينما وصف فوز بالجفاء ، الصفة التي نفاها الأول . علاقة خرق ، تقدّم بها الشاعر إلى معنى قائم ، محاط بهالة من القدسية ، فقلبهُ، وطرح ما هو ضدهُ [١٣] ، علاقةٌ تسمى (الإضمار أو القطع) ، وفيها "يمارس الكاتب الاقتباس المبتور أو إنقاض الكلام على نحوٍ يحدث حرفاً للنص عن وجهته الأصلية، ويمنحه وجهةً أخرى لم يكن القارئ ليتوقعها"[١٤].

وقد تتقاطع النصوص بكلمات قرآنية مضافة أو معطوفة من شأنها أن تكوّن لها إطاراً دينياً نفيساً، يقول : [الطويل]

يقولون لي: واصلْ سواها لعلَّها تغارُ وإلاّ كانَ في ذاك مايُسلي
ووالله ما في القلبِ مثقالُ ذرَّةٍ لأخرى سواها إنَّ قلبي لفي شُغْلِ [١٥]

فـ (مثقال ذرة) هي الكلمة القرآنية المضافة التي أكرم بها الشاعر لغة نصه، قال تعالى: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ][١٦].

تقول (جوليا كريستيفا) في النفي المتوازي : "حيث يظل المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه"[١٧] ، وهنا يثبت المعنى المنطقي للمقطع المقتبَس في دلالته على التناهي في الصغر، ولكنه يتحرك بتحرك السياق من اللامساس إلى المساس، فالنص المرجعي انساق في جزاء الناس بمثاقيل الذر من الخير والشر ، فالناس فريقان : فريق السعداء ، وهم ممن عملوا خيراً ، وفريق الأشقياء ، وهم ممن عملوا شراً [١٨] ، أما النص المقروء ، فانساق في استحواذ فوز على قلب العباس ، فلم يبق منه مكان إلا شغلتهُ .

وربما يجمع العباس ثلاث كلمات قرآنية ، منها ما هي عنوان سورة، (الطور)[١٩] ، و (الغاشية)[٢٠] ، ومنها ما هي افتتاحية سورة (حم) ، الحروف المقطعة التي ابتدأت بها سورة (غافر)[٢١] ، يقول : [السريع]

قلتُ غداة السبت إذ قيل لي: إنَّ التي أحببتها شاكيهْ
يا أيها القائلُ: ما تشتكي؟ قالَ: بها عينٌ، تُرى باديه؟
فقلتُ: عندي إنْ تشأ رقيةٌ لا تقصد العينُ لها ثانيه
قرأت "حاميمَ" وعوَّذتُها "بالطُّورِ" طوراً ثم "بالغاشيه"

يـا ربِّ فاسـمعْ واسـتجبْ دعـوتي: عجّـلْ إلـى سـيدتي العافيـه! (٢٢)

إشارةٌ يختزل بها الشاعر ، ويكثِّف ، حينما يقول (قرأتُ ، وعوّذتها) ، فهو لم يشر إلى المفردات فحسب ، بل إلى السور كاملة ، من غير أن يبعدها عن دلالاتها ، فقد بقيت محتفظة بها ، دعماً لمظهر يُلمح فيه تدينه في حفظه سوراً من الذكر الحكيم من جهة ، وإيمانه بفاعلية القرآن الكريم متى ما قرئ أو سمع من جهةٍ أخرى، انطلاقاً من قوله تعالى: [وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] (٢٣).

- الإشارة بالآية القرآنية :

يقول الشاعر : [الطويل]

إذا لـم يكـن لـي مـن ضـميركِ شـافعٌ إليـكِ فـإني لـيسَ لـي منـكِ ناصـرُ
ألانَ "لـــداود" الحديـــدَ بقـــدرةٍ مليـك علـى تيسـير قلبـكِ قـادرُ (٢٤)

فلا شك في هذه الإشارة ، فلا شك في تلكم المعجزة الإلهية والنبي داود ، آية منحت النص الثقافية بحكم العلاقة الاقتباسية ذات النمط التحقيقي، قال تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ] (٢٥).

لقد جعل له الله I الحديد "ليناً كالطين والعجين والشمع ، يصرفه بيده كيف يشاء ، من غير نارٍ، ولا ضرب بمطرقة ، وقيلَ : لان الحديد في يده ، لما أوتي من شدة القوة"(٢٦)، إرادة إلهية يسكِّن بها بلبال قلبه ، ليترجى الحب من القادر، لا من فوز ، فبعد أن جزع من ضميرها ، فلا منها له (شافعٌ) ، ولا (ناصر) ، يتأمل بشفاعة مولاه Y ومشيئته في تليين قلبها ، والتوجه به صوبه ، وكأنه يلوح لنا بقوله تعالى: [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] (٢٧).

ويصف (محمد بنيس) النص بالشبكة في عدة نصوص ، بوصفه دليلاً لغوياً معقداً (٢٨) ، يقول العباس : [البسيط]

إنـــي لأحســـبُ والأقـــدارُ غالبـــةٌ أنـــي وإيـــاكِ مثـــلَ الـــروح فـــي الجســـدِ
حتـى سـعت بيننـا يـا "فـوزُ" سـاعيةٌ مشـــهورةٌ عُرفـــت بالنفـــث فـــي العُقَـــدِ
فلـم تـزل بـالرُّقى حتـى لقـد تركـتْ مـــا بيننـــا مثـــل حـــرب النمـــر والأســـدِ
لقـــد نهيـــتكم عنهـــا وقلـــت لكـــم فيهـــا مقـــال شـــفيق القـــول مجتهـــدِ
يـا "فـوزُ" لا تسـمعي مـن قـول واشـيةٍ لـو صـادفت كبـدي عضَّـت علـى كبـدي
إن كنـتُ قلـتُ الـذي قالـت فألبسـني ربِّـــي ســـرابيلَ نـــارٍ جمّـــة العـــددِ (٢٩)

فالشبكة هنا ، تتمثل بتفاعل الصوغ الشعري مع قوله تعالى: [وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ] (٣٠) وقوله تعالى: [سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ] (٣١) .

بعد أن تلازم العباس وفوز ملازمة (الروح في الجسد)، افترقا بحربٍ كـ(حرب النمر والأسد) ، حرب كان وقودها ساحرة فطن بعملها العباس الذي حذر منها (فوز)، ولكنها لم تمتثل للنصيحة التي كان بها مخلصاً ، صادقاً ، وهو يتوعد نفسه –إن كان بخلاف ذلك– أنْ يلبسه Y لباساً يلذع جلدهُ بناره .

مشهد من مشاهد قصته مع فوز ، سجل أحداثه بذاكرةٍ دينية ، وهو يستحضر الآيتين الكريمتين بإعادة صياغتهما امتصاصاً يوافق تجربته ، حتى ليشوش على المتلقي إدراك مركز الملتقى ، إنَّ النص يتمثل فكرة النصين المقتبسين، ذلك لأن الآية الأولى تحدثت عن شر "النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط ، وينفثن عليها ، ويرقين"(٣٢) ، أمّا الأخرى ، فتحدثت عما توعد بهِ I الكافرين من القطران ، ليكون قمصهم في الآخرة، القطران السريع الاشتعال ، الوحشي اللون ، الكريه الرائحة (٣٣) .

٢- الاقتباس المحوَّر :

نوع يربط التعبير الشعري بالقرآني من خلال عملية يتوقف مدى إبداعها على مدى قدرة الشاعر على تحوير النص القرآني بشكلٍ لا يشطط بهِ ، التزاماً منه بالذود عن قدسيتهِ .

وللتحوير طرق اتبعها الشاعر في محاولة منه تغيير المظهر الشكلي الذي لايضاهيه مظهر، ليعمر بأعمدته الثابتة مظاهر تتفاوت في مستوى تشييدها الفني حركةً وجموداً ، فنراه ينتقل بالصيغ ، ويقدم ويؤخر ، ويحذف ، ليكون مجموعها ثلاثاً، هي :

- التحوير بالانتقال .
- التحوير بالتقديم والتأخير .
- التحوير بالحذف .

التحوير بالانتقال :

يقول : [السريع]

يـــا "أمـــة الواحـــدِ" لا تكثـــري عـــذلك قـــد خالفـــتُ فيـــكِ العـــذولْ
قـــد غـــادرَ الحـــبُّ بنـــي آدمٍ بـــينَ جـــريحٍ مُثْبَـــتٍ أو قتيـــلْ (٣٤)

إنه يتشرّب الخطاب القرآني في قوله تعالى: [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ][٣٥]، وهو يحوّر في الصيغة القرآنية ، ليعطر نصه بشذى القول المبارك من جهة ، ويكسبه الذاتية، لأن "بناء النص.. نتاج عملية إبداعية ، يمارس فيه الكاتب حضوره كذات مبدعة"[٣٦] من جهة ثانية ، والشعرية ، إذ "ليس النص هو موضوع الشعرية، بل جامع النص"[٣٧] من جهة ثالثة.

إنَّ (يثبتوك) ، و (يقتلوك) عبارتان من فعل وفاعل مضمر ومفعول بهِ ، عبارتان أجرى عليهما الشاعر تغييراً ، إذ استبدل بالأولى اسم المفعول (مثبت) ، واستبدل بالثانية صيغة المبالغة (قتيل) ، ليفصل بين السياقين .

لقد دلَّ النص القرآني على مكر الكفار ، وكيف أنهم أرادوا أنْ يسجنوا النبي محمداً ρ، أو يضربوه ، حتى يثبتوه ، فلا يتحرك ، ولا يبرح ، أو يقتلوه ، ولكن مكر الله Y بحقهِ وعدلهِ أبلغ تأثيراً [٣٨] ، أما النص الشعري ، فدلَّ على مكر (الحب) وتأثيره على (بني آدم) ، يدخل عليهم سالمين ، ويغادرهم جرحى لايبرحون الفراش، أو قتلى مغلوبين .

وقد يعمد الشاعر إلى تعمق إجرائي بالانتقال التفاتاً، ليفقد به نصه ما تميزت به العبارة المقتبَسة من شريف السياق ، وهي تصافح بألفاظها الجليلة النص الشعري ، وتهيء له جواً جديداً تتغير به العلاقات، قال تعالى: [وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ][٣٩]، ليقول الشاعر : [الوافر]

خفضتُ لمن يلوذ بكم جناحي وتلقَوْني كأنكم غِضابُ [٤٠]

نحن بإزاء قراءة جديدة ، فهناك تغيير زمني في الفعل القرآني (اخفض) ، الذي جاء على صيغة الأمر ، وتحول إلى صيغة الماضي (خفضت) ، وقد تحول الفاعل الضمير من المستتر العائد على الولد إلى الظاهر (التاء) العائد على الشاعر، أمّا المفعول به ، فقد أُبدلت إضافته من (الذل) إلى (ياء المتكلم) ، بقيت شبه الجملة المتعلقة بالمفعول به (لهما) ، فاستبدل بها شبه الجملة من الجار واسم الموصول وصلته ، وشبه الجملة المتعلقة بها (لمن يلوذ بكم) .

وعلى الرغم من هذه التحويرات ، فلن تتستر البنية القرآنية ، لحصولها على حضورٍ دائمي في ذهن المتلقي ، وقد كادَ النص المتعلِّق يستجيب للنص المتعلَّق بهِ ، فقد جاراه في المقصدية ، وإن انحرف عنهُ في الغرض ، ففي القول القرآني ينخفض (الجناح) الذي جسَّم (الذل) للوالدين ، أمّا في القول الشعري ، فينخفض لفوز ، ومنْ يتبعها. صورةٌ مستمدة من بلاغة الاستعارة القرآنية، شحن بأثرها النفسي الشاعر نصه، ليحقق ما يطلق عليهِ (جينيت) (التعالي النصي) ، يقول : "لا

يهمني النص حالياً ، إلا من حيث (تعاليه النصي)، أي أن أعرف كل ما يجعله في علاقة خفية أم جلية مع غيره من النصوص ، هذا ما أطلق عليه (التعالي النصي)"[٤١] .

- التحوير بالتقديم والتأخير :

يقول : [مجزوء الكامل]

يـــا مَـــنْ رأى مثلـــي فتًـــى يســـعى طليقـــاً وهـــو موثَـــقْ !
مـــن حُـــبِّ خَـــوْدٍ طفلـــةٍ كالشـــمس حُســـناً حـــين تُشـــرقْ

وإذا تـــــــذكَّرها بكـــــــى حتـــى تكـــاد الـــنفسُ تزهَـــقْ [٤٢]

إنَّ معرفة المرجعية القرآنية ليست عصية على المتلقي ، فالنص ينفتح على قوله تعالى: [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ][٤٣]، والذي تكرر في قوله تعالى: [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ] [٤٤] انفتاحاً عوّل على آلية قدَّم بها الشاعر الفاعل (أنفسهم) ، وأخر الفعل (تزهق)، فضلاً عن تغيير صيغة الفاعل من الجمع (أنفسهم) إلى المفرد (النفس)، ومن التعريف بالإضافة إلى التعريف بـ(أل) . تعديلات كان للموسيقى الخارجية دور فيها ، فالقافية (قافية)، مما دفع الشاعر إلى أن يجعل الفعل (تزهق) مما ينتهي إليه بيته.

إنَّ فكرة موت الكافرين بعد أن أدام عليهم Y نعمته من زينة الحياة الدنيا ، فافتتنوا بها ، وكرهوا أن ينفقوا منها في أبواب الخير [٤٥] ، يقتطعها الشاعر ، ليكتفي بما يؤيد أحاسيسه حينما يتذكر ، ضعفٌ يتخلى به عن إرادته ، ضعفٌ يبلغ به مرحلة العجز ولونها المغبر ، إنه يبكي ، حتى ليصل ببكائه إلى الموت الذي عبر عنه بإزهاق النفس ، التعبير القرآني الذي وشح بنية التشكيل الشعري بوشاحٍ يأخذ بمجامع العقل والوجدان .

- التحوير بالحذف :

يقول : [الطويل]

أما والذي ناجى من "الطور" عبدهُ وأنـزل فرقانـاً وأوحـى إلـى النحـلِ
لقـد ولـدت "حـوّاءُ" منـكِ بلَّيـةً علـيَّ أُقاسـيها وخـبلاً مـن الخَبْـلِ [٤٦]

فبعد أن يقتبس على سبيل الإشارة من قوله تعالى: [وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ][٤٧] ، وعلى سبيل التحوير بالانتقال من قوله تعالى: [تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] [٤٨]

بحذف أحد الزايين من الفعل (نزّل) ، واستبدال الهمزة به (أنزل)، وحذف (أل) التعريف من اللفظة (الفرقان) ، واستبدال التنوين بها (فرقاناً) ، يقتبس بالتحوير الحذفي من قوله تعالى: [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] (٤٩) ، ليكمل بهذا الاقتباس الاستضافة القرآنية التي هيمنت على البيت بأكمله ، لقد حذف الفاعل المضاف (ربك) ، ودليل الحذف واضح ، I الذي ألهم (النحل)، وقذف في قلوبها ، وعلَّمها تدبير أمرها بأنْ لا تبني بيوتها، إلا فيما يصلح من الجبال والشجر وكل ما يعرش (٥٠) . هذا من مسخ النص المقتبَس، فلم ينحرف منتج النص المقتبِس بالدلالة القرآنية عن مسارها الأصلي ، فقد اجترها وهو يكررها، وبهذا لم ينشط النص ، إذ "لا تتحقق الكتابة، إلا لأنها تحمل في داخلها إمكانية القراءة " (٥١).

المبحث الثاني

موضوعية الاقتباس

قصر العباس شعره على الغزل ، فلم يكن له في الموضوعات الأخرى إلا القليل، اقتصار أعطى للغزل السيادة في ديوانه ، ليكون الغرض الوحيد الذي يتلذذ بنصوصه المتلقي ، "إنَّ نص اللذة : هو النص الذي يرضي ، فيملأ ، فيهب الغبطة ، إنه النص الذي ينحدر من الثقافة ، فلا يحدث قطيعةً معها ، ويرتبط بممارسةٍ مريحة للقراءة"(٥٢) .

وعليه ، يدرس الموضوع على وفق اتجاهاته التي لا تتجاوز اتجاهين ، هما :

١- الاتجاه العفيف .

٢- الاتجاه الحسي .

١- الاتجاه العفيف :

مَنْ منا لا يعرف عشق العباس لفوز ، من منا لا يدرك ضخامة الموقف الذي وضع فيه نفسه ، لقد حجرها ، وغلق عليها أبواب الحياة جميعها ، إلا باباً واحداً ، باب فوز ، ففي الوقت الذي لا تفتحه ، لا ييأس منه ، ولا يحاول أن يغلقه. مشقةٌ كان للقرآن الكريم عونٌ له عليها ، لقد "كان التراث الديني في كلِّ الصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري"(٥٣) ، يقول : [الطويل]

وقد زعمت ((يُمنٌ)) بأني أردتها على نفسها تبًّا لذلك من فعلِ
سلُوا عن قميصي مثل شاهد ((يوسفٍ)) فإنَّ قميصي لم يكن قُد من قُبلِ (٥٤) .

إنَّ البراءة من الفاحشة موضوع الاقتباس هنا ، فالنص يتجوهر بقصة النبي يوسف υ [*] في قوله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [٥٥].

فهذا من كيد المرأة التي خادعته عن نفسه ، وهي تغلق عليه الأبواب ، وتهيؤه لفعل يستنكره ، حتى تسابقا إلى الباب، لتجتذبه من خلفه ، لينقد قميصه وهو يهرب منها، فعرضته للسجن والعذاب ، مما وجب عليه الدفاع عن نفسه ، الدفاع الذي ساندته شهادة ألقاها Y على لسان من هو من أهلها ، توثيقاً لبراءته، ونفياً للتهمة عنه [٥٦] .

ولنقرأ قصة العباس مع (يُمن) ، وإن لم يبرز صوت خطابه الشعري الذي علا عليه صوت الخطاب القرآني ، ولم يبق له خصوصية، سوى أنه وظف القصص القرآني بما يتلاءم وحجم العفة التي طوقتها مبادئ أقرها الإسلام . فاحشةٌ زعمت بها امرأة أسماها العباس (يُمن) ، زعمت أنه اجتذبها ، وأراد بها سوءاً ، إلا أن صرخة العفة كان لها دويّ ، العفة وشاهدها (القميص) الذي لم يكن ممزقاً ، إلا بعد نوايا سيئة ، تقف بوجهها نفس عزيزة ، تعاونت معه على الهزيمة التي آثرت التهمة[*] .

ومن جرّاء هذه العفة لا يستسيغ العباس طعم الماء ، يقول : [الطويل]

جرى السيل فاستبكاني السيلُ إذ جرى وفاضت له من مقلتيَّ سروبُ
وما ذاك إلا حيث أيقنتُ أنه يمرُّ بوادٍ أنتِ منهُ قريبُ
يكون أُجاجاً دونكم ، فإذا انتهى إليكم ، تلقى طيبكم فيطيبُ [٥٧]

وقال تعالى : [أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ] [٥٨] .

تدلُّ الآيات الكريمة على مشيئة الله I في تسخير الماء العذب للشرب ، ومن عظيم اقتداره أن يجعله مالحاً لا يقدر على شربه [٥٩] ، دلالة يذيبها الشاعر في تشكيلة شعرية جديدة ، محققاً بها دلالة مقصودة ، سيل يختلف طعمه باختلاف مكانه ، فإن اقترب جريانه من موطن فوز كان طيباً، وإنْ ابتعد كان (أُجاجاً) .

وسيطرة فوز لم تكن على مشربه فحسب ، بل على نومه أيضاً ، يقول :

[الوافر]

تطـــاول بـــي ســـهاد الليـــل حتـــى رســـتْ عينـــاي فـــي بحـــر الســـهادِ
وباتـــت تمطـــر العبـــرات عينـــي وعـــين الـــدمع تنبـــع مـــن فـــؤادي
كـــأن جفـــون عينـــي قـــد تواصـــت بـــأن لا تلتقـــي حتـــى التنـــادِ (٦٠)

فكلمة (التناد) هنا ، هي التي تعهدت بخلق فضاء نصي ، وهي تحيلنا إلى قوله تعالى :[وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ](٦١) ، يوم الحساب ، اليوم الذي يندُّ به الكفار هرباً، إذا ما سمعوا زفير النار، أو اليوم الذي يتصايحون فيه بالويل(٦٢)، وحتى هذا اليوم تتفق جفون المغرم على سبيل الاستعارة المكنية على السهر وذرف الدموع ، تتكاتف على تحدي النوم حتى الموت ، وكأنها تعاقب نفسها .

وربما اقتبس الشاعر هذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ الدالة على اليوم الآخر، انسجاماً مع قافية القصيدة المشتملة عليها ، فقد جاءت دالية ، ومن النوع (المتواتر) المردفة بحرف (الألف) مداً .

ولم يتموضع الاقتباس في الفراق وحده، وإنما في الوصال، يقول: [الرمل]

زادك الله ســـــــــروراً إنَّ مَـــــــنْ كنـــت مشـــتاقاً إليـــه قـــد قـــدمْ
عـــش قريـــر العـــين مســـروراً بـــه فيزيـــد الله بالشـــكر الـــنِّعمْ (٦٣)

وصالٌ تقرُّ به عينا العباس ، وصال لا ينكر مبعثه ، إنه شاكرٌ فضل ربِّه (تعالى) عليه ، وهو يعاشر بعادات لا فسوق فيها ، اقتباساً من قوله تعالى [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ](٦٤) ، الآية التي تحدثت عن بني إسرائيل ، وكيف أن المولى Y سيضاعف لهم النعم إذا ما شكروا ما خولهم به من نعمة الإنجاء، وغيرها بالإيمان والعمل الصالح (٦٥).

٢- الاتجاه الحسي :

حين شرعنا بدراسة الموضوعية الاقتباسية ، لحظنا بعض الأوصاف الحسية التي لايخلو منها شعر الغزل وإن كان عفيفاً ، قد تناولها الشاعر تحت مؤثرات قرآنية ، سمح لنا كمّها أن تحمل هذا العنوان محوراً .

يقول في وصف العيون : [السريع]

وا بـــأبي عينـــك هاتـــا التـــي تنفـــث فـــي قلبـــي بالســـحر (٦٦)

إنه يستغيث من سحر العيون وعملها في قلبه ، إشارةً إلى قوله تعالى [وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ][٦٧] في معنى "الاستعاذة من شرهن"[٦٨] .

وشر الهوى هذا لم يقبل عليه من عينيها فقط ، بل من (خالٍ بخدها) ، وهو يحشّد الآية نفسها ضمن لحمة نصه الذي يقول فيه : [الطويلِ]

يُقطِّــع قلبــي حســنُ خــالٍ بخــدِّها -إذا سـفرت عنــه- وينفـثُ بالسـحرِ[٦٩]

نصان لم تقترب منهما البرودة ، لدفء أحشائها من زاد القرآن اللذيذ، ذلك "أن حرارة النص (والتي من غيرها لا يوجد نص في النتيجة) ستكون إرادته في المتعة"[٧٠].

هذا من وصف العين والخال ، أمّا الثنايا ، فيقول فيها : [السريع]

كــــأن كأســــاً سلســــبيليةً مملــــوءةً بالمســــك والخمــــرِ
طعــم ثناياهــا بُعيــدَ الكــرى أخبــرهُ منهــا بــلا خُبــرِ
تلــك التــي لــو ذقــتُ مــن ريقهــا مــا ذقــتُ سُــقماً آخــرَ الــدهرِ[٧١]

نص يُسمع به صدى ثلاثة نصوص قرآنية في قوله تعالى : [وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا*عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا] [٧٢] ، وقوله تعالى : [إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا] [٧٣] ، من وعده Y لعباده الأبرار بأن يشربوا من كأس ماؤهُ من عين كافور بياضاً ورائحةً وبرودة ، مذاقه في طعم الزنجبيل ، ولكنه من غير لذع ، سلسبيل ، سلس الانحدار في الحلق، سهل المساغ[٧٤] .

وهذه الجنة التي يسكنها المرء الصالح في الآخرة ، يعيش أجواءها العباس في الدنيا ، وهو يشبه ثنايا الحبيبة وطعمها بذلك الكأس وما فيه، الكأس الذي أزاح هيبته الآخروية بلذة دنيوية .

ومع وعده I في قوله تعالى : [وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا*قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا] [٧٥] يندمج التعبير الشعري في وصف مشيتها، لينتج الشاعر نصاً لاحقاً ، يقول فيه : [البسيط]

كأنهـا حـين تمشـي فـي وصـائفها تخطـو علـى البَـيْض أو خضـرِ القـوارير[٧٦]

إن هذه الأكواب التي تكون في صفاء القوارير وشفافيتها ، فضلاً عن مقاديرها وأشكالها التي تكون على وفق ما يريده المؤمنون [٧٧] ، تخطر في بال شاعرنا ، وهو يتغزل بتنقل القدمين ، الخطوات البطيئة التي توصف بها الحبيبة ، الخطوات التي تقاس مسافاتها بمقياس الرزانة والشموخ، وكأن تحتها تلكم القوارير وهي تخافُ عليها من الانكسار .

المبحث الثالث

الاقتباس والقصص القرآني

للقصص القرآني بصمةٌ عظيمة الأثر في نفس شاعر عدَّ الكتاب المقدس مصدراً أساسياً، يضيء جوانب من تجربةٍ استمد سموها منه ، لقد "امتاز قصص القرآن الكريم بسمو غاياته ، وشريف مقاصده ، وعلو مراميه ، اشتمل على فصول في الأخلاق ، مما يهذب النفوس ، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والآداب"(٧٨) .

ويمكن أن نصنف القصص في نصوص العباس الاقتباسية ، القصص التي لم ينقل دلالاتها إلى صعيدٍ آخر إلى مجموعتين رئيستين :

١- قصص الأنبياء والمرسلين .

٢- قصص الشخصيات القرآنية .

١- قصص الأنبياء والمرسلين :

وقد كانت أكثر المجموعتين استدعاءً ، يقول (الدكتور علي عشري زايد) : "ولا غرو فقد أحس الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء ، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته ، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية ، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته ، ويعيش غريباً في قومه ، محارباً منهم ، أو في أحسن الأحوال غير مفهوم منهم"(٧٩) .

ولنقرأ قوله تعالى : [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ* يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ* قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ*قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ*قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ*قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] (٨٠) في المتن الشعري عند العباس، يقول:

[البسيط]

كأنني، والهوى في الأرض يطردني، من قوم ((موسى)) الأُلى كانوا يتيهونا(٨١)

تحميلٌ جمالي ، تتضحُ فيه المقدرة الإبداعية التي أهلّت الشاعر إلى كتابة نص يوجز فيه ما جاء في هذا العدد من الآيات بعددٍ قليل من الكلمات التي تحفز المتلقي على متابعة التداخل النصي ، وتلزمه بضرورة الرجوع إلى النص الأب ، إنْ لم تسعفه ذاكرته الدينية .

حوار بين النبي موسى υ وقومه حول دخولهم الأرض المقدسة ، قومه الذين يخافون الدخول، لوجود العاتين الذين يجبرون الناس على ما يريدون ، وقد كان منهم اثنان ممن يخاف (الله تعالى)، ويخشاه ، شجعا النبي موسى υ على قتالهم ، ولكنهم أبوا ، يقابلون الذهاب بالقعود ، فتوجه إلى Y داعياً بأنْ يحكم له ولأخيه بما يستحقانه ، ويحكم لقومه بما يستحقونه، دعاء استجاب له (الله تعالى) بتحريم الدخول ، والسير بلا اهتداء [٨٢] .

ومن القراءة المنفتحة ، كما يقول (سعيد يقطين) : "إن قراءتنا وهي تحاول أنْ تتموضع في إطار توسيع السرديات ، والانتقال بها إلى المستوى الدلالي من خلال سوسيولوجيا النص ، تندرج ضمن هذه القراءة المنفتحة"[٨٣] ، ومن هنا ، يتضح أن لهذه القصة الدينية وظيفةً تعضدية للمقصدية الشعرية من خلال تقنية التشبيه ، والأداة (كأنَّ) التي سخرها الشاعر ، ليصف متاهته في مفاوز الحب ، فلم يتوافق مع الهوى وبنوده ، لتحرم عليه دار الدفء والاستقرار ، وكأنها محتلةٌ بأفعال فوز وطغيانها. تيه نجد فيه أنفسنا أمام الشكل الآتي :

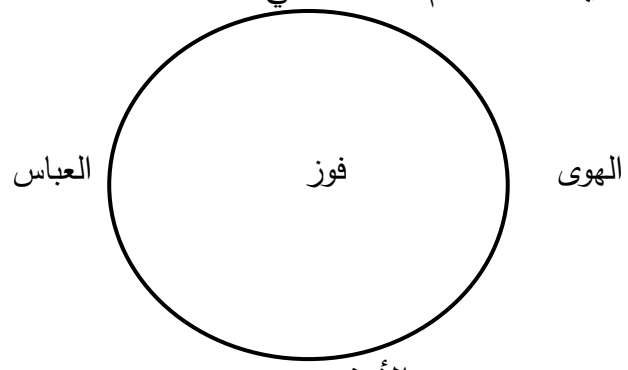

الأرض

وقد يتسوَّر النص بتعدد قصصي، يغلفهُ بغلافٍ منير ، يقول :

[الخفيف]

إنَّ وجـــدي بفقـــد ((فـــوزٍ)) وإشـــفا قـــي عليهـــا والـــدهر دهـــرٌ غشـــومُ
وجـــد ((يعقـــوب)) بعـــد ((يوســـف)) إذ بيَّـــضَ عينيـــه الحـــزنُ فهـــو كظـــيمُ
وســـروري بـــأن أراهـــا كمـــا سُـــرَّ بمفـــدى ((إســـحاقَ)) ((إبـــراهيمُ))[٨٤]

فلهذا الوليد النصي أصلان :

الأول : قصة النبي يوسف υ .

الثاني : قصة النبي إبراهيم υ .

قال تعالى: [وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ](٨٥).

لقد تأسف يعقوب υ على يوسف υ ، وكثر استعباره ، حتى محقت عبرته سواد عينيه، وقلبته إلى بياض كدرٍ ، عمي به ، أو لعله أدرك إدراكاً ضعيفاً، فلم تجف عيناه ، حزين ، ملئ قلبه غيظاً (٨٦) .

ومن وجد الأب بفقد ولده ، وخوفه عليه من إهمال إخوته له في قوله تعالى: [قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ] (٨٧) ، راح العباس يستدعي ذلك مشبهاً به، أما المشبه ، فوجده (بفقد فوز) ، وخوفه عليها من الدهر وظلمه .

هذه هي دلالة (الوجد) التي عبر عنها الأصل الأول ، ليعبر الأصل الثاني عن دلالة (السرور) في قوله تعالى : [وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ](٨٨) .

مثلما كان التشبيه وسيلة التعالق النصي في الدلالة الأولى ، يتكرر في هذه الدلالة أيضاً.

إن سرور العباس برؤية فوز يشاكه سرور النبي إبراهيم υ بمفدى ولده υ، ذلك السرور الذي عقب طاعةً لربه (تعالى) واجتهاداً ، وهو يبذل ما في وسعه، ويفعل ما يفعله الذابح، اختبارٌ انتهى ببشارةٍ منه Y بنبوة إسحاق υ(٨٩).

هذا هو سرور النبي إبراهيم υ ، أمَّا سرور العباس ، فقد كان عاقبة صبرٍ وطاعةٍ لفوز ، امتحانٌ أُختتم ببشارة الوصال .

وقد جاءت الأبيات المقتبِسة مدورة ، لا تتعادل جملها إيقاعياً ، وما ذلك إلا لحاجة تعبيرية ، دفعت الشاعر إلى نظم شعوره متتابعاً ، حاجةٍ لولاها ما اقتبس لإسناد مشاعره من مشاعر الأب تجاه فلذة كبده ، وهذا التدوير جاء واحداً مما استبطنه النص المستحضِر من جماليات كان الطباق عقيدها، طباق الجملة وأثره في تفريغ أحاسيسه التي رأت في هذين المشهدين ما يفك محبسها .

٢- قصص الشخصيات القرآنية :

لقد وجدت الباحثة قصصاً تدور أحداثها حول شخصيات تمثل الجانبين الإيجابي والسلبي في الأخلاق ، قصصاً تكون "مناراً ينير السبيل إلى الإيمان بالله تعالى ، ووسيلة لتوجيه النفوس إليه ، حتى تظهر عليها آثار التوحيد في النية والعمل والتصور والسلوك"(٩٠) .

ولكن كيف وظف العباس مشاهد القصص ، ومسلكها في الحكمة والعبرة ، وهو يبوح لنا بما في قلبه ، شاكياً ، معلناً عن سرائره ؟

يقول : [الخفيف]

ليت لي كلما ذكرتك يا ((فو ز)) نهاراً أو حين تُصغي النجومُ
رقدة الراقدين في ((الكهف)) إذ روُ عي بالحفظ ((كهفهم)) و((الرقيمُ))[٩١]

إنه يقحم قصة أصحاب الكهف، ليروي بها عروق نصه في قوله تعالى: [أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً * هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً][٩٢] .

تتعاقب السنون ، وهؤلاء الفتية مع كلبهم راقدون ، يدعون ربَّهم Y مغفرةً وأمناً من الأعداء ورشداً ، على آذانهم يضرب الحجاب ، ليكون نومهم ثقيلاً ، لاتنبههم فيه الأصوات كالمستثقل في نومه ، تطلع الشمس ، وتغرب ، من غير أن تصيبهم أشعتها كرامةً [٩٣] .

وفي هذه الرقدة تتجسد أمنية العباس وهو يتذكر (فوز) ، ذكرى فيها من الألم ما لا يرتضي إلا برقدة أهل الكهف علاجاً .

فكما رقدوا بقوة "الصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين "[٩٤] ، يتمنى أن يرقد بقوة الصبر على هجر (فوز) ، وماضي المعاشرة ، الصبر على حاضر الفراق، ليفرَّ من العشق، ويؤمن نفسه من رعبهِ، حفاظاً على فؤاده من كيّ حرارته .

ومن الأنموذج القصصي الذي مثلته شخصيات ذات طابعٍ إيجابي ، ننتقل إلى أنموذج تمثله شخصيات ذات طابع سلبي ، (قارون) وقصته ذات الفاعلية القرآنية في إبعاد النص عن التحجّر .

يقول : [الطويل]

ويا ربِّ عذِّبْها بما بي من الهوى ولا كالذي عذَّبتَ((قارونَ)) بالخسفِ[٩٥]

قولٌ يتغذى مما "قصَّه الله في قول بيّن ، وأسلوب حكيم ، ولفظٍ رائع ، وافتنان عجيب"[٩٦]، ومن امتزاج القولين تزداد طاقة النص في عملية توصيله إلى المتلقي الذي يهتدي إلى هذه القصة بكل يسر ، قال تعالى: [إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ *قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ *وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ *فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ *وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ][٩٧] .

لقد اغتر (قارون) بما أنعمهُ عليه (الله تعالى) علماً ومالاً ، فظلم قومه ، وبغى عليهم كبراً وبذخاً ، ولكنه لا ينجو من الهلاك ، كما أُهلك من قبله ممن كان أقوى منه وأغنى ، نعمةٌ لم يتقرب بها إلى الله Y ، بل اتخذها زينةً كانت داعي الغبط عند أهل الدنيا ، أما العلماء ، فقد أدركوا المصير ، يستبشرون بثواب (الله تعالى) لمن سار على درب الإيمان والعمل الصالح والابتعاد عن الشهوات التي خسف بها Y بدار (قارون) وأمواله ، حتى تنبّه القوم في أُمنيتهم على خطئهم [٩٨] .

وإذا سُئلنا : لم استشهد العباس بعذاب (قارون) طرفاً تشبيهياً لعذاب يلتمسه لفوز؟ كان الجواب :

لم يتأمل العباس لفوز إلا خيراً ، ولكن من هول أزمته الحديدية ، دعا عليها بما يفوح من القرآن الكريم من رائحة المعرفة .

لقد كانت فوز بعين العباس قد أخذها الغرور جمالاً ، حتى بغت عليه بقطيعة كاد يصلى بعذابها ، ليدعو عليها بزوال نعمة المولى Y ، حتى لا تتعالى على عباده بحسن صورتها ،

ولتكون عبرةً لمن تغتر بنفسها . هذا هو شأن القصص "حماية الإنسان من الوقوع في الآثام ، والحض على التوبة للمسيء"[٩٩].

الخاتمة :

وفيها يسطِّر البحث أبرز النتائج التي توصل إليها ، وهي كالآتي :

- يمتلك الشاعر الحذاقة التي درّج بها نصهُ ، ليثبت له مكانةً عند المتلقي، القرآن المجيد وعطاؤه الخالد، فمن ألفاظهِ وعباراتهِ المقدسة يكتسب النص الجودة ، ويرتفع مستوى أدائه .
- يرى البحث في أنواع الاقتباس أن العباس قد وظف نوعين منها : (الإشاري)، وكان أكثرهما استعمالاً ، ليليه (المحوّر) ، أما (النصي)، فنادراً ما يستعمله ، ندرة حالت إلى إلغاء دراسته محوراً .
- كان الشاعر يتناوب في آليات التعامل مع النصوص القرآنية، لدواعٍ دلالية وفنية، تارةً يجترها ، وأخرى يمتصها ، أما آلية الحوار أو القلب ، فلم يتعامل بها إلا قليلاً.
- وفي موضوعات الاقتباس كان الغزل الموضوع الفريد الذي كان للقرآن الكريم إسهام في بناء نصوصه التي اتجهت اتجاهين : العفيف الذي كثر الاقتباس فيه، لكثرة النصوص التي سارت في هذا الاتجاه ، والحسي ، وقد كان يقصد الأوصاف الحسية التي صاغها الشاعر بهذه الأسلوبية .
- أما عن القصص القرآني ، فقد تجاوبت نصوص الشاعر مع وقائعها وأحداثها التي جسدتها شخصيات تمسكت بالدين أكثر ممن تمسكت بالدنيا ، قصص اتخذت من الحكمة والموعظة مسلكاً ، قصص اقتبس من مشاهدها العباس ما يوافق وتجربته الإنسانية .

الهوامش :

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : مادة (قبس) ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٩م .

(٢) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (ت ٧١٨هـ) : ٥١٧ ، تحقيق وتقديم: د. يحيى مراد ، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) : ١٨٠/١٦، اعتنى به، ووضع حواشيه : د. عبد المنعم خليل إبراهيم ، وأ. كريم سيد محمد محمود ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، ٢٠٠٧م.

(٤) المصدر نفسه : ١٨٢/١٦ .

(٥) حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) : ٣٢٣، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م .

(٦) نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين النويري: ١٨٢/٧، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٩م .

(٧) شروح التلخيص ، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ) : ٥٠٩/٤-٥١٠ ، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت، (د. ت) .

(٨) أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني: ٢١٧/٢، حققه ، وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.

(٩) شروح التلخيص : ٥١٠/٤ .

(١٠) ديوانه : ١٩ ، شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي ، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

(١١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(١٢) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ٤/ ٢٠٢ ، اعتنى به ، وخرج أحاديثه ، وعلّق عليه : خليل مأمون شيحا ، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م .

(١٣) ينظر: أدونيس منتحلاً – دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، يسبقها : ما هو التناص ؟ – ، كاظم جهاد : ٣٨- ٣٩ ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٣م .

(١٤) المصدر نفسه : ٥٤ .

(١٥) ديوانه : ٢١١- ٢١٢، وينظر: ١٤٠ ، ٢٢٠ .

(١٦) سورة الزلزلة ، الآية : ٧- ٨ .

(١٧) علم النص ، جوليا كريستيفا : ٧٩ ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة: عبد الجليل ناظم ، ط١، دار توبقال للنشر ، ١٩٩١م .

(١٨) ينظر: تفسير الكشاف : ٣٠/ ١٢١٦ .

(١٩) ينظر: سورة الطور ، الآية : ١- ٤٩ .

(٢٠) ينظر: سورة الغاشية ، الآية : ١- ٢٦ .

(٢١) ينظر: سورة غافر ، الآية : ١- ٨٥ .

(٢٢) ديوانه : ٢٨٩ .

(٢٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨٢ .

(٢٤) ديوانه : ١٤٤ ، وينظر: ٦٦ ، ٧٢، ١٣١ .

(٢٥) سورة سبأ ، الآية : ١٠ .

(٢٦) تفسير الكشاف : ٢٢/ ٨٦٩ .

(٢٧) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

(٢٨) ينظر: حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة ، محمد بنيس : ٨٥، ط٢، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م .

(٢٩) ديوانه : ٨٧ .

(٣٠) سورة الفلق ، الآية : ٤ .

(٣١) سورة إبراهيم ، الآية : ٥٠ .

(٣٢) تفسير الكشاف : ٣٠/ ١٢٢٩ .

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه : ١٣/ ٥٥٧ .

(٣٤) ديوانه : ٢١٥، وينظر: ٧٣ .

(٣٥) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

(٣٦) انفتاح النص الروائي ، سعيد يقطين : ٧٢- ٧٣ ، ط١، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٨٩م .

(٣٧) مدخل لجامع النص (مع مقدمة خص بها المؤلف الترجمة العربية)، جيرار جينيت : ٥ ، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، (د.ت) .

(٣٨) ينظر: تفسير الكشاف : ٩/ ٤١١ .

(٣٩) سورة الإسراء ، الآية : ٢٤ .

(٤٠) ديوانه : ٢٢ ، وينظر: ١٤٢، ٢١١.

(٤١) مدخل لجامع النص : ٩٠ .

(٤٢) ديوانه : ١٩٠ ، وينظر: ٨٨، ٩٦، ١١٣.

(٤٣) سورة التوبة ، الآية : ٥٥ .

(٤٤) سورة التوبة ، الآية : ٨٥ .

(٤٥) ينظر: تفسير الكشاف : ١٠/ ٤٣٧- ٤٣٨ .

(٤٦) ديوانه : ٢٠٩ .

(٤٧) سورة مريم ، الآية : ٥٢ .

(٤٨) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

(٤٩) سورة النحل ، الآية: ٦٨ .

(٥٠) ينظر: تفسير الكشاف : ١٤/ ٥٧٧ .

(٥١) المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي : ٢٥ ، ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز، ط١، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، (د . ت).

(٥٢) لذة النص ، رولان بارت : ٣٩ ، ترجمة: د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا، ١٩٩٢.

(٥٣) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد : ٧٥ ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٩٧م .

(٥٤) ديوانه : ٢١٣ .

(*) لقد خصصنا المبحث الثالث لدراسة القصص القرآني وعلاقته بالظاهرة ، ولكن متطلبات المحور كانت سبباً للاستشهاد .

(٥٥) سورة يوسف ، الآية : ٢٣-٢٧ .

(٥٦) ينظر: تفسير الكشاف : ٥٠٩/١٢-٥١١ .

(*) مما جاء في العقد الفريد أن فتيةً من أبناء النعمة قد تركوا أهلهم ، واجتمعوا بصحبتهم في دار ببغداد، متخذين من غرفة في أسفلها مقراً لهم، لايخلون من النبيذ، إن كانوا ميسورين أم معدومين، في اليسر أكلوا من الطعام أطيبه ، ودعوا الى الطرب، وفي العدم جلسوا يتمتعون بالنظر الى الناس، وإذا بالعباس يستأذنهم الدخول، ليكون واحداً منهم ، فرحبوا به، وبعد أن خالطهم ، وعرفوا خلقه، حدثهم عن حقيقة مجيئه ، حبه لفتاة في جوارهم . ينظر: العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) : ٨٥/٨-٨٦ ، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، ٢٠٠٤م ، وما أن سمعوا ذلك حتى دار الحوار بينهم وبينه : " فقلنا له : نحن نختدعها ، حتى نظفرك بها ! فقال: يا إخواني والله على ما تَرون مني من شدة الشغف والكلف بها، ما قدرت فيها حراماً قط " . المصدر نفسه : ٨٦/٨.

(٥٧) ديوانه : ٢٩.

(٥٨) سورة الواقعة ، الآية : ٦٨- ٧٠.

(٥٩) ينظر : تفسير الكشاف : ١٠٧٩/٢٧.

(٦٠) ديوانه : ٧٦- ٧٧.

(٦١) سورة غافر ، الآية : ٣٢.

(٦٢) ينظر : تفسير الكشاف : ٩٥٦/٢٤.

(٦٣) ديوانه : ٢٥٣.

(٦٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٧.

(٦٥) ينظر : تفسير الكشاف : ٥٤٥/١٣- ٥٤٦.

(٦٦) ديوانه : ١٣٢ .

(٦٧) سورة الفلق ، الآية : ٤ .

(٦٨) تفسير الكشاف : ١٢٣٠/٣٠ .

(٦٩) ديوانه : ١٣٦ .

(٧٠) لذة النص : ٣٩ .

(٧١) ديوانه : ١٢١ .

(٧٢) سورة الإنسان ، الآية : ١٧- ١٨ .

(٧٣) سورة الإنسان ، الآية : ٥ .

(٧٤) ينظر : تفسير الكشاف : ١١٦٤/٢٩، ١١٦٦ .

(٧٥) سورة الإنسان، الآية : ١٥- ١٦ .

(٧٦) ديوانه : ١١٣ .

(٧٧) ينظر : تفسير الكشاف : ١١٦٦/٢٩ .

(٧٨) قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى : ٣، مطبعة منير ، بيروت– لبنان ، ١٩٧٨م .

(٧٩) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ٧٧.

(٨٠) سورة المائدة ، الآية : ٢٠– ٢٦ .

(٨١) ديوانه : ٢٥٥ .

(٨٢) ينظر : تفسير الكشاف : ٢٨٥/٦– ٢٨٦ .

(٨٣) انفتاح النص الروائي : ١٥٤ .

(٨٤) ديوانه : ٢٣٢ . يرى الشاعر أن المفدى من أبناء إبراهيم υ هو إسحاق υ ، وليس إسماعيل υ .

(٨٥) سورة يوسف ، الآية : ٨٤ .

(٨٦) ينظر : تفسير الكشاف : ٥٢٧/١٣ .

(٨٧) سورة يوسف ، الآية : ١٣ .

(٨٨) سورة الصافات ، الآية : ١٠٧– ١١٢ .

(٨٩) ينظر: تفسير الكشاف : ٩١٢/٢٣.

(٩٠) القصص القرآني في الشعر الأندلسي ، د. أحمد حاجم الربيعي : ١٢ ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١م .

(٩١) ديوانه : ٢٣٣ .

(٩٢) سورة الكهف ، الآية : ٩– ١٧ .

(٩٣) ينظر : تفسير الكشاف : ١٥ /٦١٣– ٦١٤ .

(٩٤) المصدر نفسه : ١٥/ ٦١٣ .

(٩٥) ديوانه : ١٨٣ ، وينظر: ١٦٠ .

(٩٦) قصص القرآن : ٣ .

(٩٧) سورة القصص ، الآية: ٧٦– ٨٢ .

(٩٨) ينظر : تفسير الكشاف : ٢٠/ ٨٠٩– ٨١١ .

(٩٩) قصص القرآن الكريم ، أ.د. فضل حسن عباس : ٣٥ ، ط١ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان– الأردن ، ٢٠٠٠م .

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**
- أدونيس منتحلاً – دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة ، يسبقها : ما هو التناص ؟-، كاظم جهاد ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٣م .
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- انفتاح النص الروائي ، سعيد يقطين ، ط١، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ١٩٨٩م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١٢٢٠هـ)، حققه ، وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ، ١٩٦٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، اعتنى به، ووضع حواشيه : د. عبد المنعم خليل إبراهيم ، وأ. كريم سيد محمد محمود ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ، ٢٠٠٧م .
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) ، اعتنى به ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ، ٢٠٠٢م .
- حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة ، محمد بنيس ، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ١٩٨٨م .
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م .
- ديوان العباس بن الأحنف (ت ١٩٣هـ) ، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- شروح التلخيص (وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني) ، (ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي) ، (وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي) ، وقد وضع بالهامش: كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشية الدسوقي على شرح السعد ،دار الإرشاد الإسلامي ، بيروت ، (د. ت) .

- العقد الفريد، الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، ٢٠٠٤م.
- علم النص، جوليا كريستيفا ، ترجمة : فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط١، دار توبقال للنشر ، ١٩٩١م.
- القاموس المحيط ، العلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي (ت ٧١٨هـ) ، تحقيق وتقديم: د. يحيى مراد ، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى، مطبعة منير، بيروت- لبنان، ١٩٧٨م .
- قصص القرآن الكريم، أ.د. فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٠م .
- القصص القرآني في الشعر الأندلسي ، د. أحمد حاجم الربيعي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.
- لذة النص، رولان بارت، ترجمة : د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا، ١٩٩٢م.
- مدخل لجامع النص (مع مقدمة خص بها المؤلف الترجمة العربية)، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، (د. ت).
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٩م .
- المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية، وليم راي ، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، ط١، دار الحرية للطباعة والنشر، (د. ت) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٢هـ)، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٢٩م .